وهذا التفسير موافق للغة قال عمران بن حصين كنت عند النبي عليه السلام
جاء اناس من اهل اليمن قال النبي عليه السلام اقبلوا البشرى يا اهل اليمن
اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك
عن اول هذا الامر ما كان قال النبي عليه السلام كان الله ولم يكن قبله
شي وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر
كل شي وجملة قوله ولم يكن شي حال لجواز ان يكون خبرا على مذهب الكوفيين
لانهم جوزوا دخول الواو في خبر كان واخواتها نحو كان زيد وابوه
قائم تشبيها للخبر بالحال قال المظهر العرش والماء مخلوقان قبل
السموات والارض والعرش والماء على الريح والريح قائمة بقدرته العلية
فان قلت كيف قال النبي عليه السلام في سؤال اهل اليمن كان الله ولم يكن
قبله شي ولم يبين هل معه شي في الوجود ام لا وقال في سؤال ابي رزين
كان ربنا في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء قلنا يمكن ان
المقصود من جواب النبي عليه السلام عند السؤالين بيان ان الله تعالى منفرد
بالوجود الازلي ولم يقارن بوجوده موجود آخر لكن اختلاف
العبارات لرعاية تطبيق الجواب بالسؤال لان اهل اليمن قالوا نسألك

عن اول هذا الامر اي اول وجود هذا العالم فهم من سؤالهم انهم
توهموا ان قبل كل شي موجود موجودا آخر لا الى نهاية فقال عليه السلام
ردا لتوهمهم كان الله ولم يكن قبله شي من الموجودات اي
الموجودات منتهية اليه ولم يحتج وجوده الى موجد لان وجوده
القديم من ذاته لا من علة خارجة عنه ولان ابا رزين قال اين
كان ربنا فهم من سؤاله انه يتوهم ان كل موجود لا بد ان يكون
في مكان وجهة فدفع توهمه بقوله ما تحته هواء وما فوقه هواء
المراد من الهواء شي موجود اي ذاته منزه عن الجهة والمكان لانه
خالق الجهات والامكنة والازمنة بعد عدمها لا محالة الخالق منزه
عنها كما قال النبي عليه السلام في موضع آخر كان الله ولم يكن معه شي
فهم من هذا الحديث بطلان زعم الفلاسفة بان اصول العالم
قديمة غير مسبوقة بالعدم وهي العقول العشرة والنفوس التسعة
وهيولى العناصر الاربعة مع صورتها الجسمية وواحدة من الصور
النوعية الاربعة عند بعضهم فانهم توهموا الى ان هذه الاشياء
غير مسبوقة بالعدم ووجودها انها تقارن بوجود الباري تعالى في الوجود

العيني فان قيل انهم اثبتوا ذلك بالدليل العقلي فلا تعارضه خبر
الواحد فلا بد ان تخرج الحديث عن ظاهره بالقرينة العقلية قلنا
ليس ح لادلائلهم في اثبات ذلك مستقيمة بل ما اوردوه في اثبات ذلك
من قبيل المغالطة لا من قبيل البرهان ولاجل ما وقع الاختلاف
بينهم ايضا لان الدليل العقلي التام اذا قام لا تنازع في مدلوله
ونتيجته ولا بد لنا من اظهار فساد عمدة دلائلهم واقوى براهينهم
على زعمهم في ذلك الباب ومن اقامة دليل قوي على اثبات مذهبنا
المنصور وبيان حدوث العالم اصوله وفروعه كما صرح به النصوص
الشرعية فاعلم اولا ان الفلاسفة خاضوا في البحث عن حقايق
الاشياء السماوية والارضية وقسموها الى الاعراض والجواهر
واوردوا في اثبات حقايقها ابحاثا كثيرة طويلة مخالفة مشوشة
قلوب المتقين وبحثوا ايضا عن ذات الله تعالى وصفاته وعن احوال
القبر والحشر والنشر والآلام واللذات في دار الآخرة على مقتضى
عقولهم الفاسدة واصولهم الكاسدة واخرجوا كثيرا من النصوص
الشرعية عن ظواهرها بدون القرينة القوية والضرورة الداعية

بل لمجرد مخالفتها لما يتوهمون انه برهان عقلي مستقيم وتجبروا
وتجاوزوا فيه عن طور العقل اذ ما قصر عقولهم عن تحقيقه و
توهموا ان ذلك ممتنع بالنسبة الى علمهم وقدرتهم اولوا على مقتضى
وهمهم او انكروا له ولم يتنبهوا على ان اكثر الامور البرزخية و
الاحوال المعادية خارجة عن نسق العادة ولا يدرك كنه حقيقتها
وكيفيتها الا بنور النبوة مع انهم يعلمون ان اقرب الاشياء الى
انفسهم وذواتهم نفوسهم وحواسهم ولا يعلمون كنه حقايقها
اذ يختلفون في حقيقة النفس اختلافا كثيرا اذ جمهور الفلاسفة
وبعض اهل الديانة قالوا ان نفس الانسان امر مجرد متعلق
بالبدن تعلق التدبير فيه وقال البعض انها جزء لا يتجزى في القلب
وقيل هي اجزاء لطيفة سارية في البدن وقيل هي قوة في الدماغ
وقيل في القلب وقيل في القلب والكبد والدماغ وقيل هي جميع
البدن وقيل الاخلاط الاربعة المعتدلة وقيل اعتدال المزاج
وقيل الدم المعتدل وقيل الهواء وايضا اختلفوا في كيفية رؤية
البصر وسماع الاذن واختلفوا ايضا في قدم النفس وحدوثها

اذ قال ارسطو ومن تابعه بالنفس حادثة وقال بعضهم قديمة والمقصود
من نقل بعض اختلافاتهم بيان انهم غير قادرين على اثبات
اصول موهوماتهم على اصلهم ايضا واغاليطهم وتمويهاتهم في
غير صفات الله تعالى وامر الآخرة كثيرة لكنها لا يهمنا بيان فسادها
لكن لما كان سماع كلماتهم وتمويهاتهم في صفات الله وامور الآخرة
اشد ولوث صماخ المبتدين وشوش قلوب بعض المتعلمين
شرع الفقير في اثبات اغاليطهم فيهما واعلم ان جميع ما غلطوا
فيهما يرجع الى عشرين مسئلة يجب تكفيرهم عند الفقهاء في ثلث
وتبديعهم في غيرها الاولى من الثلثة انهم قالوا اصول العالم
قديمة وهي العقول العشرة والنفوس التسعة الفلكية والافلاك
التسعة وهيولى العناصر وصورتها ولما ثبت قدمها امتنع عدمها
فيلزم ان لا تسقط النفوس الانسانية والحركات الفلكية وحدوث
الحيوانات والنباتات والمعدنيات بسببها والثانية منها انهم
يقولون لا تتصور الحشر الجسماني الانساني واللذات والآلام
الجسمانية والثالثة منها انهم يقولون ان الله تعالى غير عالم بالجزئيات

لانها لا يكون الا بالحواس القائمة بالاعضاء ويلزم منه ايضا تغير
علمها لتغير الجزئيات واذا عرفت ذلك فاعلم انهم يقولون الله تعالى
موجد بالذات لا بالارادة ولا يتعقل وجوده عن الايجاد وايضا
هو واحد من كل الوجوه فيلزم ان لا يصدر منه الا واحد بسيط
مجرد ويقولون في كيفية وجود باقي الممكنات ان لكل فلك من
الافلاك التسعة عقل ونفس فجرم الفلك الاول المسمى في لسان الشريعة
العرش وعقله ونفسه صدرت من العقل الاول وجرم الفلك الثاني
المسمى بالكرسي في الشرع وعقله ونفسه صدرت من عقل الفلك
الاول ثم وثم الى ان ينتهي الى العقل العاشر الذي هو عقل الفلك
التاسع الذي هو فلك القمر وزعموا ايضا ان صور العناصر الاربعة
وصور الحيوانات والنباتات والمعادن وصور افرادها
واعراضها كلها صدرت من العقل العاشر وسبب اختلاف صورها
وآثارها وماهياتها بسبب اختلاف استعدادها الحاصلة بسبب
اختلاف الحركات الفلكية فان قيل العقل العاشر بسيط كيف يصدر منه
العناصر الاربعة وافراد الحيوانات المختلفة والنباتات والمعادن

المتنوعة قالوا بسبب اختلاف الاستعدادات القائمة بموادها المقتضية
لتلك الكثرات والتعددات المختلفة فان قلت ما موجب كون
اصول العالم قديمة وكون الباقي حادثة مسبوقة بالعدم قالوا
ان فاعله الباري قديم وان ايجاده واجب بالذات فيلزم منه قدم
العقل الاول لانه مجرد وعلته التامة ذات الباري فلا يجوز تخلفه عنه و
ايضا ان الباري جواد مطلق والايجاد من آثار جوده ولوازمه فلا يجوز ترك
ايجاده وجوده فان قلت ما موجب انحصار ايجاده على العقل
الاول قالوا وحدته من كل الوجوه وانعدام ما بها تتعدد
المصدرية فان قلت ما موجب كون عقول الافلاك ونفوسها و
اجرامها قديمة قالوا كون العقل الاول علة تامة لوجود عقل
الفلك الاول مع نفسه وجرمه وكذا عقل الفلك الاول لعقل الفلك
الثاني وجرمه فان قلت العقل الاول مع عقول الافلاك بسيط فكيف يصدر عنها
اشياء ثلثة وانت تزعم ان تعدد المصدرية يوجب التركيب في
العلة قالوا في العقول وجود ووجوب بالغير وايضا
امكان فيصدر بكل واحد من تلك الاعتبارات الثلثة واحد من الثلثة

واحد من الثلثة فان قلت فعلى هذا يجب ان يصدر من العقل
العاشر اشياء ثلثة فقط مع انكم تزعمون ان صور العناصر الاربعة
وصور افراد الحيوانات والنباتات والمعادن صدرت
من العقل العاشر قالوا يصدر تلك الصور الغير المتناهية منه
بسبب اختلاف الاستعدادات الحاصلة لموادها وتلك الصور
بسبب اختلاف الاوضاع الفلكية وحركاتها فان قلت لم
لم يكن الصور والافراد قديمة كما كانت العقول العشرة والنفوس
الفلكية وذواتها قديمة قالوا لان صدورها موقوف على حدوث
الاوضاع والحركات الفلكية فالموقوف على الحادث يجب ان يكون
حادثا فلو لم تتصور اتفقت صور الحيوانات والنباتات في انواعها
وخلع العناصر صورها لجزموا بقدمها ولاوردوا دلايل
موضوعة لاثبات قدمها واذا عرفت هذا القدر من تفاصيل
مزعوماتهم وتمويهاتهم في المسئلة الاولى فاعلم قدرا في ابطال
تمويهاتهم واثبات مذهب اهل الدين والسنة حتى يتضح لك بيان
مزعوماتهم في المسئلتين الباقيتين واظهار فسادها ايضا

واثبات ما هو الحق فيهما فنقول ما معنى وجوب الايجاد بالذات
فان ارادوا به الوجوب الشرعي فهو ظاهر البطلان اذ الشارع
هو الله تعالى فلا يوجب شيئا على ذاته بحيث يأثم بتركه وان
ارادوا به انه مضطر في ايجاده كالمؤثر بالطبع كاحراق النار
وابراد الماء وذلك باطل ايضا لان له علما وقدرة فهو غير
مضطر في ايجاده وتركه فكيف وهو عجز ونقصان لا كمال في وجود
وان ارادوا انه مقتضى بتركه للايجاد فيكون واجبا وهذا
اظهر في البطلان لان الله تعالى مبرء عن التضرر كما انه غني عن
النفع وان ارادوا به ان ترك الايجاد ممتنع نقول انه ليس بممتنع
بالذات وهو ظاهر فيكون ممتنعا بالغير وذلك الغير يجب
ان يكون اقتضاء الذات فاقتضاؤه وجوب الايجاد غير ظاهر
لان الظاهر ان يكون مستقلا بالوجود الازلي ويكون غيره مسبوقا
بالعدم وحادثا بقدرته وارادته وما قالوا ان الايجاد اثر
الجود وتركه بخل وان ذاته تعالى علة تامة لايجاد العقل الاول
غير بديهي وغير مسلم عندنا لانا نقول لم لا يجوز ان يكون الكمال

في ان يكون ذاته مستبدا بالقدم والوجود الازلي ويكون
غيره من المخلوقات مسبوقا بالعدم وصادرا عن ذاته بلا سبق
مادة ومدة وواسطة ونقول ايضا لا دليل في الشرع والعقل
لوجود العقل الاول وساير المجردات بل الظاهر ان الشيء
عن الجهات والامكنة وصفات المادّيات مخصوصا بالله تعالى
ولو سلم وجوده نقول العقل الاول ممكن فنسبته الى الوجود
والعدم مساويه فلا بد من مرجح لوجوده وهو الارادة
وهي صفة تخصص احد المقدورين بالوقوع في اي وقت
شاء وان قالوا الارادة لو وجدت تكون قديمة فيلزم منه
قدم العقل الاول ايضا قلنا يجوز ان يكون تعلقها حادثا
لما عرفت ان الله تعالى اراد في الازل ان يوجد الموجودات المرتبة
في اوقاتها ويرجح وجوداتها على اعدامها فيها لما عرفت
ان معنى الارادة الترجيح في اي وقت شاء المريد كما تريد انت
الآن ان تفعل فعلا مترتبا في الزمان المستقبل وذلك امر
وجداني لا يجوز انكاره فان قالوا الارادة وباقي الصفات

متعددة م

لو كانت موجودة يكون موجدها هو الله تعالى فيلزم منه ان يكون
حادثة لانه فاعل بالاختيار يوجد كل شيء بالقصد والارادة
وكل موجود مسبوق بالقصد يكون حادثا مسبوقا بالعدم
حالة القصد الى ايجاده مع ان الصفات قديمة عند اهل السنة
قلنا لما ذهبنا الى ان صفات الله تعالى قديمة نقول الله تعالى موجب
بالذات بالنسبة الى صفاته ونقول الخلق والايجاد بالنسبة الى
الاعيان والاعراض لا الى صفاته او نقول يجوز ان يكون
تعلق الارادة بالنسبة الى صفاته قديما فكيف وقد قال الخصم
يلزم من قدم الارادة قدم تعلقها والارادة مخصصة العقل
من بين الموجودات بالارادة والا يلزم التسلسل وامثاله
كيف كان في قوله تعالى والله خالق كل شيء فان الله تعالى خارج من
الشيء حتى لا يلزم كونه خالقا ومخلوقا وقوله تعالى ليلة القدر خير
من الف شهر فان ليلة القدر خارجة من الف شهر حتى لا يلزم
كونه فاضلا ومفضولا وكان في قولك لرجل ادخل الدار واقتل
من فيها والداخل خارج عمن في الدار في قولك كل صفة وجودية

234 ثابتة للموصوف يجب ان يكون موصوفها موجودا قبل ثبوتها
له والوجود مخصص منها حتى لا يلزم منه تعدد الوجود للموصوف
او التسلسل او تحصيل الحاصل وقد عرفت ان العقل حجة كاملة
من حجج الله تعالى فاهدار تخصيصه اهدار العقل فلا يليق ذكر
بعاقل والمشهور في جواب هذا السؤال عند المتكلمين قولهم
ان كونه تعالى فاعلا بالاختيار بالنسبة الى غيره وصفاته ليست
غيره ولا عينه وهذا ليس بحل وتحقيق لقول القائل ان نقول
لما كانت صفاته ممكنة وموجودة فلا بد لها من موجد موجب
او مختار ولو قلنا انه فاعل بالاختيار يلزم منه حدوث
الصفات فلا بد من ان نذهب الى ما قلنا وقولهم فاعل بالارادة
قديمة يلزم منه قدم العقل الاول وما يترتب عليه من المجردات
والافلاك بترتب المعلولات على العلة ظاهر الدفع ايضا
لانا نقول لو ازل لو ابد فاعليته بالفعل بدون الارادة فهو
مصادرة وغير بديهية ومسلم عندنا لما عرفت انه فاعل بالاختيار
فلا يلزم من قدم الفاعلية قدم الفعل ولو ازل لو ابدية مبدأيته

للممكنات فنحن نقول به ولا يلزم منه قدم المعقول ايضا مع انك
قد عرفت ان الظاهر انه فاعل بالاختيار لا موجب بالذات
فان قيل الارادة امر اعتباري فلا يكون جزء العلة قلنا
النصوص الشرعية يدل على انها امر موجود لان المفهوم من حمل
الارادة على ذات الله تعالى يدل على ان وجود الارادة غير وجود
ذاته تعالى فان قيل حمل المشتقات لا يدل على وجود المبدا قلنا
مرادنا نفي مذهب الفلاسفة بظواهر النصوص الشرعية ومطالبتهم
بدليل عقلي مستقيم يخرج النصوص الشرعية عن ظواهرها الدالة
على ان الصفة غير موصوفها فان قيل لو كانت الارادة موجودة
لزم تعدد القديم وتركب ذات الباري تعالى قلنا تعدد القديم في
الذات ممنوعة دون الصفات مع ان الخصم قائل بجواز تعدد
القدماء في الذوات وقولهم هو واحد من كل الوجوه وتعدد المصدر
يستلزم الوحدة ليس بدليل مستقيم ايضا لان المصدرية امر اعتباري
وهو نسبة وجود المخلوقات الى ذات الباري تعالى مع ان المصدرية
لو استلزم التركب لزم من صدور العقل الاول ايضا مع انهم يقولون

235 بجواز ان يصدر عن البسيط الواحد كالعقل العاشر اشياء متعددة
مختلفة بشرط اختلاف استعداد المحال فعلى هذا يجوز ان يصدر
جميع الماديات عن ذات الباري بسبب تلك الاستعدادات
وايضا قالوا الفلك الاول عقله ونفسه صادرة من العقل
الاول باعتبار وجوده ووجوبه وامكانه وانت تعرف ان مرادهم
من الوجوب والامكان هنا امر اعتباري فيجوز ان يكون العلويات
والسفليات صادرة عن ذات الباري باعتبار الامور العقلية
الاعتبارية الثابتة له وهو كونه مبدا لجميع الموجودات وكون
وجوده من ذاته ووجوب ذاته وعالميته وقادريته وساير
صفاته الثبوتية والفعلية والسلبية فلان الفلاسفة يقولون بتلك
الامور لكنهم يقولون هي اعتبارية وهي يجوز ان يكون سببا لتعدد
الاصدار والايجاد كما في العقول عندهم على زعمهم ولنا ان نقول
ايضا في اثبات كونه فاعلا مختارا لا موجدا بالايجاب الذاتي
ما وجه انحصار العقول على العشرة والنفوس والافلاك على التسع
مع ان الزيادة والنقصان عن ذلك العدد الخاص ممكن عقلا وما

مقتضى ان يكون كل فلك على ذلك المقدار المعين من الغلظ والكبر
حتى قالوا تدوير المريخ مثل فلك الشمس وما مرجح كون حركة كل
فلك على مقدار مخصوص من السرعة والبطوء وجهة خاصة فان
بعضها يتحرك الى جهة الشرق وبعضها الى جهة الغرب وما موجب
كون الكواكب على ذلك العدد المخصوص في المقدار والحركة واللون
والوضع الخاص وكون الشمس والقمر واحدا والباقي من السيارات
والثابتات متعددة مع ان خلاف كل ذلك ممكن وايضا ما
وجه انحصار العناصر على الاربعة وما وجه اقتصار المتولدات
من العناصر على ما زعموا على الثلثة وكون كل واحد من تلك
الاربعة والثلثة على تلك الصور والخاصية والتاثير مع جواز
ان تكون العناصر والمواليد زايدة على ذلك العدد او ناقصة عنه
وجواز كون كل واحد منها على خلاف تلك الصور والخاصية
والتاثير وما وجه اختصاص كل فرد من الحيوانات والنباتات
والمعدنيات على صورة ولون ووضع وطبيعة مخصوصة وشكل
ومقدار واثر مخصوص مع ان خلاف كل واحد منها ممكن فلا بد

236 لخصوصية كل من تلك الاختلافات من مرجح ومخصص سوى ارادة الفاعل
المختار فان قيل لا يجوز ان يستند من تلك الموجودات المتكثرة
الى ذات الله تعالى الا العقل الاول فلا يتاتى فيه ما ذكرت قلنا
قد ابطلنا ذلك مع اثباتنا جواز استناد الكل الى ذات الباري
بالاعتبار الذي ذكروا في جواز استناد المتعدد الى البسيط
الواحد ولو سلمنا قلنا ان نقول ما سبب انحصار سلسلة العقول
المترتبة على العشرة وانحصار النفوس والاجرام على التسعة وذلك
ليس باقتضاء العقول المتعينة للعلية على زعمهم وايضا فعل
العقل العاشر في الصور والاعراض على زعمهم لا في الاستعداد
والمادة فما وجه انحصار استعدادها على الاربعة في العناصر
والثلثة في المولدات منها فلا بد في ذلك من مخصص ومرجح
وما ذلك الا ارادة الفاعل المختار والحكيم الجبار فان قالوا
الارادة امر اعتباري عندنا فلا يجوز ان يكون جزء للعلة الفاعلية
قلنا يجوز لانهم قالوا صدر من العقل الاول امور ثلثة واحدها
باعتبار الذات وثانيها وثالثها باعتبار الوجوب بالغير والامكان

اللذين هما امران اعتباريان ولو سلم قلنا الارادة شرط الايجاد
فيجوز ان يكون اعتبارية وقد عرفت ايضا ان ايجاده تعالى ليس
بتحريك عضو واستعمال آلة بل بمجرد قصد وارادة فيجوز ان يصدر منه
جميع ما في العالم في لحظة واحدة وارادة منفردة فلا يلزم منه
التركيب في التعدد واعلم ان كيفية تعلق قدرة الله تعالى بالمقدورات
سر من اسرار الله تعالى لا يطلع على كنه تلك الكيفية واحد من الاولياء
والانبياء عند الاكثرين ولذا قال ابرهيم عليه السلام رب ارني
كيف تحيي الموتى فلا باس لنا في ان نورد مثالا محسوسا حتى ينتقش
في ذهنك مثال سر ذلك المعقول معقولا اوضاع الاجرام الكثيفة
والوانها وصورها غير ظاهرة في الظلمة ولا يعلم وجودها
حتى ذهب بعض اهل الاستدلال الى ان لا وجود للون في
الظلمة ولما وصل ضوء الشمس الى تلك الاجرام الملونة يظهر منه وضع
كل فرد منها ولونه وصورته بسبب وصول الضوء من غير لصوق
شيء من جرم الشمس اليه واذا غربت الشمس يضمحل تلك التميزات و
التعددات ولو لم تغرب الشمس لا يعلم ان تلك الظهورات والاختلافات

237

من ضوئها ويدخل ايضا بعض من ضوئها في كل كوة ودرجة
من كوى البيوت ودرجها ولا يلزم منه التعدد في ذات الشمس
وقس عدم الممكنات على عدم ظهور الاجرام الكثيرة المختلفة
في الظلمة وايجاد الباري تعالى وتأثير قدرته فيها على طلوع الشمس و
ظهور الاجسام المختلفة وتميزاتها من غير صدور شيء محسوس
من ذات الله تعالى ولصوقه الى تلك الموجودات وبدون لزوم
تعدد في ذاته تعالى لكن غيبوبة ذات الله تعالى عن الموجودات محال
فخفي لبعض اهل الاستدلال كون جميع الموجودات من آثار
قدرته لدوام ظهوره ولذا قيل تتبين الاشياء باضدادها
ولا مجال للعقل فيما وراء ذلك من كشف تأثير قدرة الله تعالى
في ايجاد الممكنات بطريق الاستدلال فمن لم يعرف كيفية تأثير
قدرة الله تعالى على سبيل التفصيل والتحقيق وحكم بان اضافة
جميع الموجودات الى الله تعالى بدون الوسايط لا يجوز لاستلزامها
عدم وحدانيته مجازفة وجرم كما قالوا لا بد في ايجاد صورة
جسمية من محل قديم وسموا الهيولى ولم يتنبهوا على ان امتناع

ايجاد صورة الجسم بدون المحل بالنسبة الى قدرتهم ووهمهم لانهم
لم يبصروا التصوير بمقدار ووضع وشكل بدون محل ومادة وعلى
ان قياس قدرة الله وعلمه على قدرتهم وعلمهم لا يجوز لانهم
مقرون بذلك في اقوالهم في مواضع كثيرة قياس الغايب على الشاهد
لا يجوز ولدقة هذا المبحث قال افلاطون استاذ ارسطاطاليس
الجسم عبارة عن صورة اتصالية ولم يقل بوجود الهيولى وتبعه
كثير من قدماء الفلاسفة وقال جالينوس لم يظهر لنا دليل
مستقيم يقتضي قدم العالم او حدوثه متوقف فيه وقال
المتكلمون الجسم مركب من الجواهر الفردة الصغار بحيث لا يقبل
كل واحد منها التجزية لا فعلا ولا وهما وقال بعضهم يقبل
التجزية وهما لا فعلا او صورة الجسم امر اعتباري لا جوهر موجود
وتردد بعض ارباب الكشف في تعيين منشاء التعددات
والكثرات الروحانية والجسمانية امر موجود بوجود عيني
في نشأة علمية او امر شئ ليس بموجود ولا معدوم ولا حادث
ولا قديم واذا تأملت حق التأمل علمت ان الله قادر على ان

238 يوجد ما في العالم العلوي والسفلي بل اضعافه والاف الى
ما لا نهاية له بارادة واحدة من غير سبق مادة ومدة ولا يلزم
منه التعدد في ذاته وان حدوث الاشياء على سبيل الترتيب
والتعلق باسباب عادية حادثة لحكم كثيرة ونكت غريبة يعرفها
اهل الخبرة والاعتبار وارباب البصيرة والافتكار تخلصت
عن التحير والتردد في تعيين منشاء التعددات وتبين
حكم التسبب وتوجهت بقلب صاف سليم الى التلذذ بخلوص
العبادات وصفاء المناجاة وانما اطنبت بعض تفاصيل
الكلام في بيان تحقيق هذا المقام لان المسئلة الاولى من معاظم
موهوماتهم وجلائل مزعوماتهم لما عرفت ان اصول العالم
كالعقول والنفوس الفلكية وذوات الافلاك اذا ثبت قدمها
امتنع عندهم عدمها لان علتها الاولى التامة وجود الباري تعالى
عندهم بدون انضمام امر آخر كالارادة فيلزم من انعدامها
انعدامه وهو محال ممتنع واذا عرفت فساد دلايلهم الدالة على
ذلك وان كون الباري تعالى فاعلا مختارا لا موجبا بالايجاب

الذاتي وان تعدد المصدرية لا توجب التركيب ان قدم الفاعلية
لا تستلزم قدم تعلق الايجاد و قدم المفعول واولوية كون
العالم مع اصولها مسبوقا بالعدم علمت يقينا ان ما ورد من
النصوص الشرعية الدالة على حدوث العالم وفنائها وعلى الحشر
الجسماني واللذات والالام الجسمانية يجب ان يجرى على ظواهرها
ولا يلتفت الى التمويهات الفلسفية المركونة الدالة على الاخراج
عن ظواهرها ونقلها الى اللذات والالام الروحانية
واذا عرفت هذا القدر من بطلان دلايلهم في المسئلة الاولى
من المسائل التي كفر فيها الفلاسفة فاعرف قدرا من بطلان
دلايلهم في المسئلة الثانية من تلك المسائل فاعلم اولا ان بعض
اهل الاهواء كالكرامية والمعتزلة وبعض الفلاسفة لما اخذ
والحس نور عقلهم وبصيرة قلبهم غلبة وهمهم وظلمة ذهنهم تهافتوا
في ورطة ومهلكة فانكروا حشر الاجساد بتوهمهم فاسد وزعم
كاسد لانهم قالوا ان تعين كل انسان وتميزه من الآخر يصير
بسبب المشخصات والعوارض من الصور الجسمية والنوعية

والزمان والوضع والهيئة واذا انعدمت صورته الجسمية وزالت
وفنيت عوارضه المشخصة وزمانه يصير شخصا آخر لا سيما
اذا اكله سبع وهوام واستحال لحمه الى لحمها واحرق وفرق
اجزاؤه الى اطراف العالم فلا يليق بعدل البارى تعالى وحكمته ان
يعذب شخصا بجناية شخص آخر ويثيب شخصا آخر في مقابلة عبادة
غيره فلنا ان نقول في بيان فساد ذلك التوهم ايضا لانم
ان الصورة الجسمية وساير العوارض من الزمان والهيئة والوضع
من الامور الموجودة لان كل جسم عندنا مؤلف من الجواهر
الصغار فالصورة والمقدار والوضع والهيئة الحاصلة بسبب
الاجتماع امور اعتبارية لا يتغير حقيقة ذلك الشخص بتفرق
اجزائه وتفكك وضعه وهيئته كما اذا فرقت عشرة دراهم الى
امكنة مختلفة ثم جمعتها في موضعها الاول يكون تلك العشرة
بعينها ولا يتغير بذلك حقيقتها وان اختلفت هيئتها ووضعها
الاولى ولو تبدل الجسم وتغير بتغير الزمان والوضع والمقدار
لزم ان لا يعاقب الجاني في حاله صباه او مرضه بعد كونه شابا

وصحيحا وان لا يصح الزام حافظ بعد مرور ايام لتغير ازمانه
واوضاعه والتالي باطل اذ يجوز عقاب الجاني والمنازعة في
حالة الصبا والمرض بعد كونه شابا وصحيحا بالاتفاق ولو مرت
بينهما اعوام كثيرة ولا بد في هذا المقام ايضا زيادة تفصيل
فنقول ان الله تعالى عالم بجميع الاجزاء الاصلية المتفرقة في اقطار
العالم من كل شخص والمختلطة باجزاء بدن شخص آخر ومن السباع
والهوام وقادر على تمييز جميع اجزاء ذلك الشخص بعينه من بين
الاجزاء المبثوثة في اقطار العالم ومن بين اجزاء السباع و
الهوام التي اكلت ذلك الشخص بعينه وجعلها على هيئتها الاولى
بعينه فيكون كل عضو ولحم وعصب على هيئتها الاولى بعينها
فلا يلزم اثابة شخص وعقابه مقام شخص آخر ولا يلزم من عدم
معرفة العبد القاصر تمييز تلك الاجزاء من بين الاجزاء الكثيرة
المخلوطة وعدم قدرته على جمعها بعينها وتركيبها على هيئتها الاولى
ووضعها عدم معرفة الله تعالى اياها وعدم قدرته على جمعها وجعلها
على هيئتها الاولى بعينها لما عرفت ان قياس الغايب على الشاهد

240

لا يجوز بالاتفاق ولو سلم ان الجسم مركب من الهيولى والصورة
نقول لا نزول بتفتت بدن الانسان وتفرقه انعدام الصورة
الاصلية كما اذا فرقت كفا من تراب الى اقطار العالم او جزات
ماء في جرة الى اجزاء صغار كثيرة ثم جمعتها وجعلتها في ذلك الكف
وتلك الجرة لا يكون ذلك التراب والماء غير ذلك التراب الاول
في الماء الاول فان جماهير الفلاسفة يقولون اذا اختلط العناصر
الاربعة وصارت فردا من انواع المواليد الثلث كالفرس المتشخص
مثلا لا يفسد فيه الصورة النوعية للماء والهواء والنار والتراب
واذا انفصل كل واحد منها ينفصل بصورته النوعية فيجوز ان
ينفصل كل واحد من العناصر الاربعة من بدن الانسان بعد
الموت وتفرق البدن ويختلط بجنسه ثم ينفصل كل واحد من اجزاء
العناصر عن جنسه بعينه ويجتمع في بدن ذلك الانسان بعينه دون
تغير وزيادة ونقصان وذلك يسير على الله وان كان عسيرا
عليك ولقائل ان يقول ايضا ان المعاقب والمثاب والمتلذذ و
المتألم النفس الناطقة في الحقيقة كما ان المدرك والمخاطب والمكلف

منزلة الحقيقة والاعضاء وقواها آلاتها والبدن والمقدار بمنزلة
لباسها فلا يلتفتنا الى تغير الاعضاء والقوى والبدن عند الحشر
والمجازاة كما اذا قتل شخص انسانا بآلة ولباس ثم غير آلته و
لباسه هل يجوز لعاقل ان يقول هو غير ذلك القاتل فلا يجوز
عقابه واذا عرفت هذا القدر من التفصيل والتحقيق في المسئلتين
قلنا ان نقول في المسئلة الثالثة ان قولهم الله عالم بالكليات لا بالجزئيات
لان علمه بالجزئيات يؤدي الى تجويز وجود الحوادث وتغير علمه مبني
على توهم فاسد وزعم كاسد ايضا لان اقتضاء العلم بالجزئي
حاسة ليس بدليل عقلي تام بل انما هو وهمي لو لم يروا ادراك
الصوت واللون واللذة بدون الحاسة فزعموا انه ممتنع بدونها
وليس كذلك اذ يجوز ان يحيط علم الله تعالى بجميع الجزئيات المحسوسة
بدون الحاسة ولان تغير المعلوم لا يستلزم تغير العلم فانك تعرف
عند طلوع الشمس انها تغرب فاذا غربت الشمس وتغيرت من هيئتها
الاولى يكون مصدقا لكلام سبقنا تعلق علمك بالغروب فلا يلزم
منه تغير علمك الاول بل يلزم تحققه مع ان الاختلاف في تلك المسئلة

راجع الى تفسير العلم فمن قال انه نسبة بين العاقل ونفس المعقول
يقول ان الله تعالى عالم بالجزئيات على وجه جزئي ومن قال انه نسبة
بين العاقل وصورة المعقول يقول انه عالم بها على وجه كلي لان
ادراك الحواس ليس بعلم فيجوز ان يكون علم الله تعالى عبارة عن
النسبة بين العاقل وذات المعقول وعبارة عن الادراك
او عن صفة ومعنى قائم بذاته وهذا القدر ايضا يكفي في المسئلة
الثالثة وقد اورد المتكلمون هذه المسائل الثلث في كتبهم ونقلوا
دلايل اهل الاهواء فيها واشتغلوا بابطالها بايراد الدلايل
والمنوع المشتملة على المقدمات الكثيرة الغير اليقينية اكثرها بحيث
يتعسر ضبطها ولا يشفي قلوب المتعلمين باظهار ابطالها فلا يقلع
مادة الشبهة عن قلوبهم لخفاء اسقاط اكثر مقدماتهم لتحميل قلوب
اكثر المبتدئين الى مذهب اهل الاهواء لموافقة اكثر مقدماتهم لاحكام
الوهم والعادة وقد استشعر هذا الفقير من مناظرة كثير من
اهل الاستدلال وسؤالهم اياه عن مقاصدهم في اصول مذاهبهم
ما نزل على قلوبهم ولذا ارتكبت هنا في نقل اصول مذاهبهم الباطلة

ودلائلهم العاطلة واشتغل باظهار فسادها واثبات ما هو الحق
بكلام موجز مكشوف وبالبراهين البينة مكشوف كما دونه بعض
المتاخرين من المتكلمين اصول الفلاسفة والمعتزلة وساير اهل
الاهواء في كتبهم لابطالها بالدلايل الشرعية والعقلية حتى يدفعوا
بذلك شبه المبتدعين وتوقيهم من سماع كلام اهل الاهواء لانتشار
مذاهبهم في هذا الزمان ولذا قال بعض العلماء تعلم علم الكلام
فرض كفاية وان ذهب اكثرهم الى حرمة تعلمه لغلبة فساد قلوب
اكثر المتعلمين من سماعه ولخوف الفتنة والخلل والاجتناب عن
الآفة والزلل من سماع كلامهم لم يتوغل ولم يتعمق المتقدمون كابي حنيفة
وصاحبيه رحمهم الله في البحث عن صفات الله تعالى وحقايق مخلوقاته
بايراد الدلايل المطنبة المفصلة الدالة على كيفيتها وابطال
مذاهب اهل الاهواء فيها كما فعل بعض متكلمي اصحابنا كذلك
كابي منصور وغيره لعلمهم بان معرفة كيفية صفاته تعالى وتفاصيل
حقايق مخلوقاته بحر عميق لا يسلم الغايص فيه عن الآفة غالبا
ولا يسال المكلف في الآخرة عن معرفتها ولا يعاتب على ترك

242 تعليم التعمق فيها لا لعدم معرفتهم بها مثل ما عرفها اهل الاهواء
والمتاخرون عن متكلمينا لان تحقق تلك العلوم موقوف على
تهذيب الباطن عن الاخلاق المذمومة والشهوات النفسانية
العايقة وتحليتها بالاوصاف المحمودة والملكات الفايقة
وتوشيح الظاهر بالعبادات الشرعية والطاعات السنية
السنية وهم كاملون في ذلك فيكون ترك توغلهم في ذلك العلم
لما ذكرنا لا لضعف معرفتهم بل اشتغلوا بتفريعات العلوم
الفرعية وتشعيبات المسايل الفقهية كالعبادات الظاهرة
والمعاملات والمزاجرات وبينوا فيها الاحكام النادرة
بحيث يتعذر وقوعها عادة وكذلك التفريعات والتشعيبات
لغلبة رافتهم على عباد الله وقصدهم الى ان مثل تلك المسايل النادرة
لو وقعت لا يتحيرون في معرفة احكامها لا لتحصيل الجاه والشهرة
لان ذلك من اعظم الآفات واقبح المنكرات عندهم لكن بعض
اهل المكاشفة وارباب المراقبة تعمقوا في البحث عن كيفية وجود
ذات الله تعالى وكيفيات صفاته ومراتب تنزلات الاسماء والصفات

وكيفية نشأة التعددات والكثرات في العلويات والسفليات
ومراتب المكاشفات واثبت تلك الامور بعضهم بوجه الاستدلال
والبرهان وبعضهم بطريق الكشف والعيان ووقع في اثناء
مباحثهم وبياناتهم ما يخالف ظواهر بعض النصوص الشرعية
كما قالوا بان وجوده وصفاته عين ذاته لا امر زايد وبان
الموجودات موجودة بايجاد الباري تعالى بالايجاب الذاتي وعدم
تاثير قدرة العبد في افعاله الاختيارية ولا اصل لا انصاف في العقل
ان لا ننكر مباحثهم فيما لا يجب انكاره لانهم لم يقولوا ما يخالف
ظواهر الشرع لردها ولا لاجل اظهار فضلهم ومرتبتهم في الكشف
والحال لان ذلك ذنب عظيم وابطال حال ورفعة عندهم بل
لحظ اهل الذوق والكشف الذين جاؤا بعدهم ولم يتفق لهم
شرف المصاحبة والمحاورة معهم فارادوا ان يحاوروهم بوجه
المراسلة ويصاحبوهم بوجه المكاتبة بعد الموت والمغايبة
من لم يتشرف بعلم الذوق والمكاشفة يجب عليه ان لا يطالع
كتابهم حتى لا يؤدي ذلك الى التردد والانكار لان لكل حد

مطلعا ومراما ولكل حزب مذهبا ومقاما وحكاية موسى وخضر عليهما السلام
يرشدك الى ذلك لو تدبرت بوجه الحزم والاعتبار ويجب ان
يتبع امامه ومقتداه حنيفيا كان او شافعيا في الامور الاعتقادية
والفرعية لان المجتهدين يجوز لهم بل يجب ان يعملوا بما فهموا
من ظواهر النصوص الشرعية ادى اليه رايهم بعد الجد والجهد
على وجه الفكر والطاقة على وجه الشرع واللغة ولا يعاتب
على الخطا اذا ادى وظايف الاجتهاد المعلومة والله اعلم

باب البعث وبدء الوحي

عن عكرمة عن ابن عباس رضي
قال مكث النبي عليه السلام بمكة ثلث عشر سنة يوحى اليه ثم امر
بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلث وستين سنة
وعن عمار روى عن ابن عباس رضي انه قال اقام بمكة خمس عشر سنة
يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين وثمان سنين يوحى اليه
واقام بالمدينة عشر سنين فان قلت كيف يروى عن ابن عباس
انه قال يوحى اليه بمكة ثلث عشر سنين وروى ايضا انه قال يوحى
اليه فيها ثمان سنين نقول قد عرفت ان الاقل كونه ان يدخل